اسم الدرس : تفسير سورة الأنعام | ح١٠ | الآيات [٦٤ : ٦٥]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة على رسول الله..

نكمل بإذن الله تفسير سورة الأنعام، توقفنا عند قول الله عز وجل في الآية ٦٥:{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أو مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦)} (الأنعام: ٦٥-٦٦).

توقفنا تحديدًا عند قول الله عز وجل: {أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥) وقلنا: القرآن هنا في هذه الآيات يبيِّن أن الإنسان ليس بعيدًا عن قدرة الله عز وجل، وهذا المعنى لو سيطر على الإنسان قطعًا سيتوب ويعود إلى الله عز وجل.

وتكلمنا من قبل في مسألة الجنّ، فأكثر معنى جعلهم يُسلِمون: {وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا} (الجن: ١٢)، لما أيقن أنه لن يعجز الله في الأرض هربًا، فأيقن وصدق وآمن، فهنا يستمر أسلوب الضغط على الفطرة.

كما قلنا: القرآن كلام الله، والذي نزَّل القرآن هو الله، كذلك الذي خلق الإنسان هو الله، فالله عز وجل يعلم نقاط الضعف في الإنسان، وسورة الأنعام تضغط على نقاط الضعف هذه.

لذلك آخر سورة سبأ قال الله عز وجل: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ(٥٠)} (سبأ: ٤٨-٥٠)

السورة التي بعدها مباشرة، سورة فاطر، تبدأ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} (فاطر: ١) قضية الفطرة، فمهما بذلوا أموالهم تظل الفطرة موجودة، عندما يأتي الحق،

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} (سبأ: ٤٨)

{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} (سبأ: ٤٩)

عندما يأتي الحق فإنه يوافق فطرة الإنسان الذي يريد أن يهتدي، فمهما بنى أهل الباطل من أكوام من الذنوب والأفلام والأغاني والمسلسلات والشبهات والشهوات... أكوام وأسوار على قلب الإنسان، يأتي الحق- قذيفة الحق- تهدم كل ذلك، لذلك أهل الباطل يشتعلون غيظًا والشيطان يشتعل غيظًا... قد يكون هناك شابٌّ بذل الشيطان معه كل الأساليب وجعله يقع في كل المعاصي، وفي النهاية ((آية)) تَهُدُّ عشرين سنة من الشبهات والشهوات!! **فقذيفة الحق قوية**.

فقلنا –في سورة الأنعام– إن الضغط على الضعف الذي بداخل الإنسان يجعله ينكسر لله عز وجل.

{قل هو القادر} -سبحانه وتعالى- {على أن يبعث عليكم عذابًا} (الأنعام: ٦٥) ، وقلنا: {عليكم} فيها إحاطة، والعذاب من فوق أو من تحت إحاطة أيضا للإنسان، كما في قول الله عز وجل عن صاحب الجنتين: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} (الكهف: ٤٢) لما أحسَّ أنه مُحاط قال: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} (الكهف: ٤٢) .

لما أحاط به ندِم، مثل فرعون أيضًا: {قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (يونس: ٩٠).

{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أو مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} (الأنعام: ٦٥) مهما بلغ الإنسان من تقدُّم، ويقول: "أنا عندي تقدم وأستطيع أن أمنع العذاب؛ لو نزل عليَّ من فوق، لو نزلت عليَّ صاعقة سأصِلُ للتقدُّم الدُّنيويِّ أن أبني قبَّة سماوية في العالم كله تمنع نزول الصواعق!

{ أو مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } (الأنعام: ٦٥) يقول: "أنا سأستطيع أن أبنِيَ مبانيَ قوية وجبالًا تثبِّت الأرض؛ فلا تؤثر الزلازل فيها"...بِفَرْضِ أنَّه يعتقد هذا، ربنا يقول له: أنا من الممكن أن آتيك من قلبك {أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥)

{يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا}.. **سنتكلم عنها بالتفصيل وهذا موضوع اللقاء اليوم، أن الله سيُفرِّق بين قلوبكم.**

{فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} (الحشر: ٢) لما ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله،

{مَا ظَنَنتُمْ}(الحشر: ٢) -أي المؤمنون- {أَن يَخْرُجُوا}(الحشر: ٢)، المؤمنون ظنوا أن اليهود لن يخرجوا، واليهود ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله.

فمن أين أتى العذاب؟! ((أتى من القَلْبِ!))

فليس الموضوع موضوع حصون ولا الحصون ستُهدَّم ولا أي شيء.. أتى من شيء لا يتوقعونه أبدًا..{ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ } (الحشر: ٢).

فهنا: {أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥)

الوقفة الأولى الخاصة بـ {أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ}(الأنعام: ٦٥)

أغلب التفاسير تذكر الحديث المشهور للنبي صلى الله عليه وسلم أنه (لما نزلت هذه الآية :{ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ } قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك"، { أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك"، {أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ}، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذه أهْوَن، هذه أهْوَن")[١]

يذكرون هذا الحديث –حديث صحيح–

وأحاديث أخرى صحيحة..تذكر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم –في أحاديث وروايات كثيرة جدًا–، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى صلاة طويلة، صلاة رغب ورهب: صلى النبي –صلى الله عليه وسلم– ركعتين، صلاة طويلة، فقالوا: يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صلَّيتَ صلاةً لم تكن تُصلِّي مثلها بطولها،

قال: (إنها صلاة رَغَبٍ ورَهَب) أي: كان هناك أمر أريد أن أدعو الله به، فصليت ركعتين طويلتين أولًا.

(فسألتُ ربي ثلاثًا: ألا يُسلِّط على هذه الأمة عَدُوًّا من خارجها يستبيح بيضتها، فأعطانيها، وسألتُ ربي ألا يُهلِك الأمة بسَنَةٍ عامة –أي: لا يوجد عذاب عامٌّ– فأعطانيها، وسألتُ ربي ألا يجعل بأسهم بينهم شديد، فمنعنيه)[٢] روايات كثيرة سنتكلم فيها..

الشاهد: يذكرون هذه الأحاديث كلها؛ سواء الحديث الأول برواياته –حديث أعوذ بوجهك–، أو حديث سألت ربي ثلاثًا برواياته، معنى ذلك أن هذه الآية في المسلمين!

---

[١] - [عن جابر بن عبدالله:] لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: {قُلْ هو القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عليْكُم عَذابًا مِن فَوْقِكُمْ}، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أعُوذُ بوَجْهِكَ، قالَ: {أوْ مِن تَحْتِ أرْجُلِكُمْ}، قالَ: أعُوذُ بوَجْهِكَ {أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا أهْوَنُ - أوْ هذا أيْسَرُ

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٤٦٢٨ • [صحيح]

[٢] - سألتُ ربّي ثلاثاً فأعطاني اثنتينِ ومَنعني عن واحدةٍ. سألتُ ربّي أن لا يسلِّطَ عليْهم عدوًّا من غيرِهم فيجتاحُهم فأعطانيها وسألتُهُ ألا يُهلِكَهم بسنَةٍ عامة فأعطانيها وسألتُهُ ألا يجعلَ بأسَهم بينَهم فمنعنيها

ابن تيمية (٧٢٨ هـ)، النبوات ١٤٩ • صحيح

لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (أعوذ بوجهك)[٣] إذًا هي في أمته في حين أن السِّيَاق للكفار! هذه أول وقفة في الآية..

كيفية الجمع؟

الإمام الطبري وهو شيخ المفسرين...ولا يعلم قدره الا من تعمق في فهم كلامه.

سُئِل د. مُساعِد الطَّيَّار سؤالًا دقيقًا وأجاب إجابة عميقة، سئل: لو أنك ستُفسِّر آية والمطلوب منك أن تقرأ ثلاثة كتب فقط، وأنت تريد أن تحيط بالآية وتتكلم فيها –طبعًا بالنسبة للعلماء، شخص مثل د. مساعد أمامه مئات كتب التفاسير واللغة سيكون الاختيار صعبًا، عندما تقول له أن يختار ثلاثة فقط!–

[شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إني لأقرأ في الآية الواحدة **مائة تفسير**، فأقوم ولا أقضي وطري منها، فأُمرِّغ وجهي في التراب وأقول: يا مُعلِّم إبراهيم علِّمني، يا مُفَهِّم سليمان فهِّمني، فيفتح الله عليَّ ما لم يفتح من قبل!]

الدكتور مُساعِد قال: سأقرأ تفسير الطبري وابن عاشور والمُفردات للرَّاغِب الأصفهاني.

الأول كتاب يحيط بالآثار ويجمع بينها،و**الثاني** كتاب مُتميِّزٌ في اللغة وتراكيب اللغة، و**الثالث** كتاب متميز في مفردات الألفاظ.

الشاهد: أن الإمام الطبري جمع فقال: السِّياقُ في المشركين، وكأن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما نزلت عليه هذه الآيات خاف أن يُصيب أُمَّته ما أصاب الأمم من قبله، وأيقن النبي –صلى الله عليه وسلم– "كما يقول الحسن البصري في رواية عنه ذكرها الطبري"أن النبي –صلى الله عليه وسلم–لما سمع {عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} (الأنعام: ٦٥) ، فقيل له: هذه لأُمَّةٍ أعرضت كلُّها عن كتاب ربها. إذاً عندما تُعرِض كل الأُمَّة عن الكتاب ينزل عليها عذابٌ عامٌّ من فوقهم أو من تحت أرجلهم.

فلمّا قال: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} (الأنعام: ٦٥)، قيل: هذه لأُمَّةٍ كذَّبَت ببعض الكتاب أو أنكرت بعض الكتاب.. التي هي أمة النبي صلى الله عليه وسلم، المقصود بكذَّبت: أي لم تُطبِّق.

[٣] - سبق تخريجه

أُمَّةٌ تعمل بالمعاصي فيأتي عليها { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا}(الأنعام: ٦٥)،

أمة كفرت كلها يأتي عليها {عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} (الأنعام: ٦٥).

فالنبي –عليه الصلاة والسلام– أيقن أنه سينال أمتَه جزءٌ من هذا، فقام ودعا الله.

لذلك، المفَسِّرون يذكرون هذا بالرغم من أن السياق للمشركين لكن–وهي نقطة هامة في التفسير– أن **كثيرًا من الآيات التي تتكلم عن اليهود أو النصارى أو المشركين بعذاب دنيوي أو أخروي يكون للمؤمن العاصي منها نصيبٌ إذا تَلبَّس بهذه المعصية، لكن لا يخلد في النار، وهذا منهجُ وفقهُ إسقاطِ آيات الكفّار –حتّى التي نزلت في الكفار– على المؤمنين، ليس المقصود أن تُكَفِّره؛ لا، المقصود أنها نزلت للترهيب.**

النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (لَتَتَّبِعُنَّ سنن من كان قبلكم)[٤].

لذلك كان حذيفةُ أو ابنُ مسعودٍ –لا أذكر– عندما كان يتلو آيات –في بني إسرائيل مثلًا– ، فيقرؤها لبعض المسلمين فيقولون: هذه ليست لنا وإنما هي لبني إسرائيل، فيقول: "**وبئست الأخوة هذه! أتكون المَذَمَّة لهم وتكون المَمْدَحَة لكم؟**"

بمعنى: أتريد عند الآيات المبشرة والمادحة لبني إسرائيل –أنعمنا عليكم ونجّيناكم..– تقول: يا رب نجِّنا يارب كما نَجَّيتَ بني إسرائيل، والآيات التي فيها ذمٌّ لبني إسرائيل تقول: لا، هذه نزلت في بني إسرائيل!

أيضًا الآيات التي فيها {نجّيناكم} (البقرة: ٤٩) نزلت فيهم!

أنت كما تريد آيات النجاة: يا رب كما نَجَّيتَ بني إسرائيل من فرعون نجِّنا من فرعون...أيضًا كما عاقبتَ بني إسرائيل بالتدليس والتحريف في الشريعة سيُعاقب الذي يُدلِّس ويُحرِّف في الشريعة! هذا معنى: "بئست الأُخوَّة"

---

[٤] - [عن أبي سعيد الخدري:] لتتَّبعُنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكُم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ حتّى لَو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لسلكتموه. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ مَن اليَهودُ والنَّصارى؟ قالَ فَمَن إذًا؟ !

الألباني (١٤٢٠ هـ)، تخريج كتاب السنة ٧٤ • إسناده صحيح

إذًا سياق الآيات أساسًا في المشركين، لكن لو تلبَّس المسلمون ببعض هذه المعاصي سينالهم هذا العقاب، لذلك عندما يقول الله تعالى في سورة البقرة: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ} (البقرة: ٨٥) الخطاب لبني إسرائيل، لو أن أُمَّة الإسلام آمنت ببعض الكتاب وكفرت ببعض سيُصيبُها في الدنيا خِزي، نفس العقاب، هذا الخزي يصيب المفرِّقين في الدين، إذًا سيُصيب المفَرِّقين في الدين أيًا كانوا.

الذي يعتقد أنه بمجرد أن أصبح مسلمًا فقد أخذ صَكًّا أنه لن يُعاقَب ولن يُذَلَّ ولن يُعَذَّب ولن يُبتلَى،! لا... إطلاقا، هذا واهِمٌ، الأمة نفسها سوف تُبتلَى.

إذًا هذا هو المعنى الأول وكيف ربط المفسرون وأتوا بالأحاديث رغم أن هذه الأحاديث في المسلمين والسياق سياق كفار ومحاولاتهم للربط. من كلام مُفَسِّري السَّلَفِ نقل عنهم الطبري في معنى الآية قال: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥) قال: "هذه هي الأهواء والفِرَق والاختلافات والدماء التي بيننا الآن"، هم يقولون هذا: "هذه هي الأهواء والفِرَق والاختلافات والدماء التي بيننا الآن." هذا الكلام أظنه كان في بدايات السنة الثانية من الهجرة! نفس الحال الآن!، إذًا هذا عقاب يُصيب الله عز وجل به العباد { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} (الأنعام: ٦٥)، {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً} (الأنفال: ٢٥) كثير من الصحابة أَسقَط هذه الفتنة على الفتنة التي وقعت بين الصحابة، قال: وما وقع تأويل هذه الآية إلا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما معنى وقع التأويل؟ أي حدثت، كأنَّ المآل وقع .

الطبري له آثار جميلة كما قلتُ لكم:في { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} (الأنعام: ٦٥) قال:" ما كان فيكم من الفتن والاختلاف".

ابن زيد يقول: "الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك الدماء"، وذكر الروايات الكثيرة، إن شاء الله ييسّرُ لنا ربُّنا ونتكلَّمُ عنها.

الشاهد: تعالَوا نرى ترتيب الآيات: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥)

النتيجة النهائية التي ننظر إليها وتؤلمنا أن هناك اختلافات بين المسلمين، وأنهم يسيؤون لبعضهم ويسبون بعضَهم بعضًا. كيف أن الجماعة الفلانية المسلمة تسب الجماعة الفلانية المسلمة؟! كيف يسب هؤلاء المسلمين أولئك المسلمين؟ كيف تسب هذه الدولة الإسلامية تلك الدولة الإسلامية؟ كيف نُذيق البأس لبعضنا البعض؟ لذلك لما دعا النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- اللهَ عز وجل ألا يُهلِك الأُمَّة بسَنَةٍ عامَّة فقال الله -وهذه رواية أبي داوود- فقال الله عز وجل: (يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً لا يُرَدُّ، قضيتُ ألا أُهلِك أمَّتَك بسَنَةٍ عامَّةٍ، وقضيتُ ألا أُسلِّط عليها عدوًّا من غيرها يستبيح بَيْضَتَهُم، ولكن حتى يقتل بعضهم بعضًا ويسفك بعضهم دم بعض)[٥]

هم الذين سيفعلون ذلك في بعضهم البعض، فكأننا لا نخاف من عدوٍّ خارجيٍّ يأتي علينا ويُهلِكُنا، هذه ليست من المخاوف، ولا نخاف أن تأتي صاعقة تزيل كل المسلمين من الأرض، لسنا نخاف من هذا!

عندما يفكر الشخص منا في المسلمين الآن وهم مستضعفون، بالمعادلات الأسبابية الحسابية الأرضية ألا يمكن أن يضع الشرق يده في يد الغرب، بما معهم من قنابل نووية وذرية وهيدروجينية، وينسفون العالم الإسلامي هذا؟ يعني يُخرِجون إسرائيل وبعدها ينسفون العالم الإسلامي وبعدها يَحتلُّونه؟ أليست هذه معادلة ممكنة؟ أليس هذا واردًا؟! لكن هذا لن يحدث حتى لو اجتمعت الأسباب الأرضية، النسف التام لن يحدث، الاستباحة التامة لكل المسلمين لن تحدث.(حتى يقتل بعضهم بعضًا!)[٦]

فلستُ خائفًا من أمريكا والصين، ولا خائفا من الصواعق والزلازل، لكن أخاف ممَن؟ خائف منكم!

خائف منَّا! خائف من بعضنا على بعض! هذه أكبر مصيبة تُسَلَّط على الإسلام!

---

[٥] - [عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم:] إن الله زوى لي الأرض. أو قال: إن ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي: أن لا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد ! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، لو اجتمع عليهم من بين أقطارها – أو قال بأقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا. وإنما أخاف على أمتي ! الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله

أبو داود (٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود ٤٢٥٢ • سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]

[٦] - سبق تخريجه

لذلك لما قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: هذه أهون[٧]، بعض مفسري السلف قال: ولو استعاذ اللهَ عزَّ وجل منها لأعاذه...فكأنّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- استعاذ منها لما عرف خطورتها وأيقن بخطورتها فمنعه الله عز وجل؛ لأن هذا قَدَرَ حتى لو كان استعاذ منه لن يحدث، وقد جاء ردَّ على الذي قال هذا من السلف، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ورد في روايات ثابتة أنه استعاذ- لكن الله عز وجل لم يجبه لأن هذا قدر[٨]

نريد أن نرى كيف نصِلُ لمرحلة {وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥)؟

انظر كيف يصِلُ المسلسل للنهاية... نحن دائمًا ننظر إلى المشهد النهائي ونتعجب!

الإسقاطات اليوم كثيرة على كل المستويات، سواءً على الجماعات أو على الدول الإسلامية،

لكن المنظر المضحِك -عندما ننظر إليه نجده مُضحِكًا فعلًا- أنا أريدك أن تفتح الخريطة، خريطة العالم الإسلامي، وتجد نقطة في المنتصف اسمها إسرائيل وسط العالم الإسلامي، محاطة بسوريا والأردن وتركيا ومصر والسعودية والجزائر والمغرب وتونس والصومال والسودان وآسيا، كيف يكون هذا الشيء المتناهي في الصغر متروكا في المنتصف ؟!

فلو أن أحدًا أتى من المريخ مثلًا سيسأل: هل هؤلاء كلُّهم مسلمون؟ - نعم.

وكلُّ هؤلاء يُعادون اليهود؟ - نعم.

يعني كلُّ هؤلاء يديّنون لله بعداوة هذه الثُّلة القلة؟ - نعم.

إذاً كيف يتركونَهم وسْطَهم؟!! كيف؟

إنّهم لو بصقوا... لو جمعوا بَصْقَةً من كل مسلم على وجه الأرض وجمعوها في براميل سيُغرِقون بها إسرائيل! يعني هل هذه الفكرة معقول أنها لم تخطر على بال أحد؟! لكن، أيًّا كانت الوسيلة، لكن السبب هو التفرق والاختلاف فيما بيننا.

لذلك لما الله عز وجلَّ يقول: {وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥) كل شخص فينا عنده بأس؛ هذا البأس لا بد أن يُوَجَّه فيما يريده الله، كل شخص فينا عنده مشاعر حبٍّ وغضب.

---

[٧] - سبق تخريجه

[٨] - سبق تخريجه

النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (من أحب لله وأبغض لله)[٩] الذي يُوَجِّه بُغضَهُ لخلاف الشرع، بدلا أن يُوَجِّه بُغضَهُ وبأسه للكافر المحارِب، بدأ يُوَجِّهه للمسلم!

كما في قول الله عز وجل: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ } (آل عمران : ١٥٢) كنتم تسيرون في الاتجاه الصحيح ضدَّ المشركين، انقلبتم ورجعتم للنزاع مع بعضكم البعض، هنا تأتي الهزيمة!

{ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ } (آل عمران: ١٥٢) الوجهة الصحيحة صُرِفْتُم عنها.. لذلك لما أتى أحدهم يغتاب أخاه المسلم، فسمعه أحد السلف، قال له: أجاهدتَ الروم؟! قال له: لا، قال: جاهدتَ الفرس؟ قال: لا. قال: أسَلِمَ منك الروم والفرس وأخوك الذي بجانبك لم يسلم!

يريد: يا أخي وَجِّه بأسك لعدوك!

إذًا كل إنسان منا داخله بأس عليه أن يوجهه الاتجاه الصحيح. لذلك يُروَى –وإن كان الأثر ضَعَّفَهُ بعض أهل العلم– لما النبي –صلى الله عليه وسلم– رأى أبا دجانة –كما أذكر–، فرأى أبا دجانة يمشي بسيفه يختال في المعركة، فيُروَى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال:(هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموقف)[١٠]...

وفي رواية ابن هشام وابن كثير: " قال سِمَاك بن خرشة أبو دجانة: (وما حقه يا رسول الله؟، قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه بحقه، فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، أي يمشي مشية المتكبر، وحين رآه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يتبختر بين الصفين قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن).

---

[٩] – عن أبي أمامة [:مَنْ أحبَّ للهِ، وأبغَضَ للهِ، وأعْطى للهِ، ومنَعَ للهِ، فقدِ اسْتكمَلَ الإيمانَ، وإنَّ أفضَلَكُمْ أحسَنُكُمْ أخلاقًا، وإنَّ مِنَ الإيمانِ حُسْنَ الخُلُقِ.

شعيب الأرنؤوط (١٤٣٨ هـ) تخريج شرح السنة ٣٤٦٩ •إسناده حسن، وله شاهد

[١٠] - [عن أنس بن مالك:] أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يومَ أُحُدٍ فقالَ: مَن يَأْخُذُ مِنِّي هذا؟ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إنْسانٍ منهمْ يقولُ: أنَا، أنَا، قالَ: فَمَن يَأْخُذُهُ بحَقِّهِ؟ قالَ فأحْجَمَ القَوْمُ. فَقالَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجانَةَ: أنَا آخُذُهُ بحَقِّهِ. قالَ: فأخَذَهُ فَفَلَقَ به هامَ المُشْرِكِينَ. مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٤٧٠ • [صحيح]

نحن للأسف نمشي هذه المشية مع المسلمين! المفترض أن هذه المشية تكون مع الكافر المحارب، هذا الغضب يكون مع الكافر المحارب، بأسُك هذا يُوَجَّهُ لهم ، أنت بأسُك وجَّهتَه للمسلمين!!!

لذلك يقال من أسباب الفتنة في عهد سيدنا عثمان، سيدنا عثمان حكم ١٢ سنة، تولى الخلافة ١٢ سنة، أول ستة كانت الفتوحات كثيرة متتالية سريعة ، بعد السنوات الست الأولى، توقفت الفتوحات، هؤلاء الناس لم يتربَّوا التربية النبوية، بدأ التراجع، بدأ الجسم الإسلامي يتآكل.

مثل الأمراض التي تنتشر منذ فترة، التي يُسَمُّونها **[autoimmune disease]** أمراض المناعة الذاتية، أن يأكل الجسم نفسه! يحارب نفسه! الجسم يُعادي نفسه! هذه من أخطر الأمراض الآن... شيء قريب من الإيدز. فتَخَيَّل عندما يُعادي الجسم نفسه،

والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال ذلك؛ (الأمة كالجسد الواحد)[١١] ، تخيّل لما الجسد يعادي نفسه... تخيل عندما تلطم اليدُ الوجهَ! وتقول الرِّجل الشِّمال للرِّجل اليمين لن أمشي! تَخَيَّل، أنا أريدك أن تتخيل.. واليد تتمنى أن تفعل شيئًا والرِّجل تقول لها لن أُكمِل معكِ، واليد محتاجة لليد الثانية وهي تقول لها: لا.

هذا هو الذي يحدث بيننا الآن، بأسنا وجَّهناه لبعضنا البعض، كيف وصلنا لهذه المرحلة؟

أول مرحلة: مرحلة اللَّبس.

{ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا } (الأنعام: ٦٥)، **اللَّبس هو الخلط، أن تختلط علينا الأمور، القواعد الصحيحة للشرع تصبح غير منضبطة، فلا أعرف عدوِّي من حبيبي، الأمور تلتبس.**

أعطيكم مثالًا:

[١١] - [عن النعمان بن بشير:] مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وتَرَاحُمِهِمْ، وتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمّى.

مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ٢٥٨٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له

أشهر طائفة فعلت هذا وأذاقت المسلمين بأسها من أول الإسلام هي طائفة الخوارج، هي التي خرجت قتلت في الأُمَّة بَرَّها وفاجرها، أكثر طائفة من البدايات خرجت أذاقت الأمة بأسها، على الرغم من أنَّها -على قول أكثر أهل العلم- أنَّهم ليسوا كفارًا.

الخوارج خرجوا على المسلمين وأذاقوهم بأسهم، كان عندهم لَبْسٌ، الإشكالية كان هناك لَبْسٌ في الفهم، قالوا: كيف يُحَكِّم علي رضي الله عنه الرجال في دين الله؟ رأوا أن هذا كفرا... أيًّا كان، الحديث طويل، لذلك كان الحل معهم: أن ابن عباس خرج لهم وأزال هذا اللَّبْسَ ورجع منهم ألفان! إذًا الحل الأول للإشكالية أن تُزيل اللَّبْس.

في البداية يحدث اللبس بأن يأتي أحدهم بفكرة جديدة يُلَبِّس على الناس دينها، اللَّبس: أي خلط الأمور.

أعطيكم مثالًا للَّبْس: لما أُشيع مقتل النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة أُحُد وانتشر الخبر، وألقى بعض المسلمين السّلاح، في بعض الروايات أن ضِعاف الإيمان أو المنافقين الموجودين في غزوة أُحُد -فلم يرجعوا كلهم - قالوا: علام نقاتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا؟! تخيَّل الكلمة! انظر كيف تنقلب الموازين؟ قد يسمعه آخر بجانبه فيقول: صحيح! هؤلاء المشركون هم أبي وأخي! تخيَّل المشهد لو لم يكن هناك مسلمون ثبتوا حينها، تخيل المشهد الذي كان من الممكن أن يحدث!؛ وشخص آخر يقول: نعم صحيح، والثاني يقول: ما هذا؟! فعلًا ما هم إلا آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا! فيرمي السيف ويحتضن أبوه وأخوه ويبكي والموضوع ينقلب شيئًا آخر!! كيف انقلب الموضوع هكذا فجأة ؟؟! حدث لبس في الأمور... أصلًا هو أبوك وأخوك من قبل، لكن أنت عندك قواعد ومعايير شرعية أخرى غير هذه:

{ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ..} (التوبة: ٩٠) منذ البداية أنت تعرف أنه أبوك، لكن هناك معيارٌ فوق هذا.

فيحدث لَبْس...عندما يحدث لَبْس في المفاهيم وناس وشباب يُخدَعون فيتشيَّعوا للفكرة، كما حدث لَبْس عند الشيعة ولَبْس عند الخوارج فتَعَصَّبوا له وتشيَّعوا له، فبعدما تشيَّعوا وجدوا مخالفين لهم فقتلوهم، هذه هي: {وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥) هذا هو التسلسل الذي يحدث، أنّ أحدًا يقتنع بفكرة، هذه الفكرة فيها لَبْس في الدين ليست فكرة كاملة في الدين، فيتَّبِعه مجموعة من الناس ويتشيَّعون له، فيحاربون بقية المسلمين {وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥) .

إذًا هكذا تبدأ السلسلة أن هناك لَبْس في الأمور،

هذا اللبس لمن يُنسب ؟ من الذي يُقدِّره؟ الله عز وجل،

يأتي السؤال هل من المعقول أن الله عز وجل يُلَبِّس على الناس؟! {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا}

ربنا في نفس السورة –في أولها – يقول أنّ الله عز وجل لم يُرِد أن يُنزل الرسول مَلَكًا في صورة بشر والسبب: {وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ} (الأنعام: ٩) لو كان ربنا فعل ذلك لكان هذا لَبَّس على الناس دينهم! فالله عز وجل لم يفعل ذلك لأجل ألا يُلَبِّس على الناس دينهم ولئلّا يعطي فرصة للملبِّسين على الناس.

فكيف يحدث ذلك اللبس إذًا؟!{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} (الأنعام: ٦٥)

هذه تكون عقوبة، فعل المسلمون شيئًا فكانت العقوبة أن يلتبَّس عليهم الأمر.

كيف يحدث هذا؟ نترك طبعًا مبحث الخلاف بين المسلمين، هذا مبحث ضخم، نحن سنحاول أن نأخذ منه فوائد، كيف يحدث هذا؟ مثلًا متى يتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا؟

الرسول صلى الله عليه وسلم قال متى يحدث ذلك>>> **عند موت العلماء**[١٢]...

حسنًا؛ إذا كان العلماء موجودين لكنَّهم يتماوتون! هو لم يمُت لكنه لا يتكلم، سيحدث لَبْس، سيتِّخذ الناس رؤوسًا ضُلَّالًا.

[١٢] - [عن عبدالله بن عمرو:] إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَماءِ، حتّى إذا لَمْ يُبْقِ عالِمًا اتَّخَذَ النّاسُ رُؤُوسًا جُهّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا. البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ١٠٠ • [صحيح]

لذلك هناك رواية من أجمع الروايات لحديث: "سألتُ ربي ثلاثًا" الحديث في سنن أبي داود [١٣]، فيه تَتِمَّة توضح كيفية حدوث هذا التسلسل.

الشاهد: عدم التوضيح الكامل للدِّين يؤدي إلى اللَّبْس.

تعالوا نرى إذًا أسباب حدوث اللبس على المسلمين:

- عدم التوضيح الكامل للدين...فقط توضيح جزئي {كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} (الحجر: ٩٠-٩١) وهذه شرحناه في أواخر سورة الحجر في جلسة كاملة من قبل، في مسألة الطرح الجزئي للدين، {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}(البقرة: ٨٥) ((**الطرح الجزئي للدِّين هذا من أخطر الأشياء التي تجعل مَن معك يشُكُّ في الدين عندما تحدث أزمة، ومَن هو خارج الدِّين يرى أنّ الدين لن يأتي له بحقِّه!**))

لذلك **عدم وجود طائفة تجهر بالحق وتنصر المظلوم وهي تحمل لواء الشرع يجعل المظلومين يبحثون عمن يأتي لهم بحقوقهم من غير الشرع**.. مرة أخرى: عدم وجود طائفة شرعية من العلماء تجهر بالحق وتدفع عن المظلوم وتتكلّم وتحكم في دُنيا الناس يجعل الناس يقولون: أنا لم أجِد حلَّ مشكلتي في الدين، سأستورِدَهُ من غير الدين، ويجعل مَن معك يشُكُّ، فيصبح أكثر تنفيرًا، هذا يؤدي للَّبْسِ، التعامل الجزئي مع الدين يؤدي للَّبْسِ.

- مما يؤدي للَّبْسِ على الناس ويُحوِّلُهُم إلى {شِيَعًا}(الأنعام: ٦٥) يتنازعون مع بعضهم البعض، ويقتلون بعضهم البعض، ليس فقط التوضيح الجزئي، بل **الإيمان بمبادئ الدين في أوقات وتركها في أوقات، الإيمان بها في أوقات الرخاء والكفر بها في أوقات الفتنة والأزمة.**

أو اللعبة المتداولة لعبة الجزرة والشريعة! ما هي لعبة الجزرة والشريعة؟! ليس هناك مَن لعِبَ هذه اللعبة إلا عوقب، " **لا يُلعب بدين الله لعبة الجزرة ويُترك**"... أيًّا كانت الجزرة، بدّل الجزرة بما تريد (شرعيّة، دستور، أي شيء تريده).

لعبة الجزرة والشريعة أن يكون لك غرض وحتى تنال هذا الغَرَضَ تضع بجانبه الشريعة لتصل إلى مأربك! هذا يُلَبِّس على الناس الدِّين، وأنت أوَّلُ من تُعاقَب!

[١٣] - سبق تخريجه

الله عزّ وجلّ عزيز، هذا الدّين نزل يُناسِب السّماوات والأرض، مَن سينصر الدين بغير الدين فهو يُضادُّ السُّنَنَ الكونية؛ كمن يريد أن يُنزِل المطر من الأرض! هو يقلب الموازين والمفاهيم مما يؤدي إلى اللَّبس على النّاس..

التوضيح الجزئي، التعامل الجزئي؛ طرح مبادئ الدين في أوقات الرخاء، والحماسة في أوقات الرخاء، والسكوت في أوقات الضيق والأذى،التدثُّر بالدين لأجل تحقيق قضية معينة تناسب مصلحته، ثم عندما نعبُر بها يتخلّى عنها.. كل مَن يفعل ذلك فإنه يُلَبِّس على الناس الدين، يُحوِّلُهُم شِيَعًا ويُذيق بعضهم بأس بعض.

- من أخطر الأمور والتي هي موجودة في واقعنا وجعلت اللّبس يحدث، فبالتالي نصبح شيعًا ونسب بعضنا ويذيق بعضنا بأس بعض: أنّ الله عز وجل خلق الناس بتقسيمات اجتماعية معينة؛ فمنهم الأبيض ومنهم الأسود، منهم المصري ومنهم الأجنبي ومنهم الغربي ومنهم الأحمر. وجعلهم قبائل وشعوبًا..، هذه التقسيمات من أجل التعارف، هذه التقسيمات ليس لها دخل في مسألة التقوى. هذه التقسيمات أقرب إلى الابتلاءات؛ تجد القصير والطويل، النحيل والسمين... كلّ هذه ابتلاءات للإنسان، هذه التنوّعات –سواء كانت التنوعات في الأشخاص أو في الأمم– هذه للتعارف: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ}..لكن {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ} (الحجرات: ١٣) فلم يقُل: "أحمرُكم ولا أسودُكم ولا أبيضُكم..." بل قال: {أتقاكم} وواضح

الله عز وجل ضبط العلاقات والروابط التي بيننا، فهي روابط ربنا نزَّلها، فهناك رابطة بين المسلم والمسلم، هذه الرابطة لها شكل معين ولها قوة معينة ولها أشكال معينة، وروابط بين المسلم والكافر وكيف يتعامل معه، والكافر المحارِب غير الذي ليس بمُحارِب –المعاهد والذِّمِّيُّ–، والكافر المجوسي غير الكافر من أهل الكتاب... مُعامَلات تفصيلية لكل الاختلافات.

أي حدودٍ ورَسْمٍ آخر لهذه العلاقات البشرية غير تلك وضعها الإسلام هي إفساد في الأرض!

لذلك الرَّسم –لو اعتبرنا أن هناك رسمًا أو خريطة للعلاقات بين البشر ربنا أرادها– فلو قمنا برسم خريطة بين البشر: هناك مسلمون، هناك علاقات اجتماعية: أب وابن وزوج وزوجة، علاقات اجتماعية، وهناك علاقات إيمانية: كافر ومسلم، واضح؟... أحيانا يحدث تعارُض... نجد مسلمًا مع مسلم، نجد أحيانًا ابنًا مسلمًا مع أب كافر؛ هنا ماذا سنفعل؟! هنا حدث تعارض بين العلاقات الاجتماعية والعلاقات

الإيمانية، ماذا سنفعل؟ قد نجد زوجًا مسلمًا مع زوجة كافرة، أو الزوجة كافرة والزوج كافر والزوجة أسلمت؟!!

هذه العلاقات كلها ضبطها الشرع ، ولذلك فكرة الزواج المدني هي كفرٌ بهذه الحدودِ، كفرٌ بهذه الخريطة.

كما في فكرة الوطنية؛هذه ليس لها علاقة بالشرع الذي أراده ربنا، لماذا؟ لأنها تقول: الوطن المصري يختلف عن غيره من الأوطان.

ذكرت من قبل قصة فريق كرة القدم المصري والجزائري عندما تنازعوا مع بعضهم البعض، قابلتُ وقتها أناسًا في المدينة المنورة يختلفون ويتنازعون مع بعضهم بسبب مباراة مصر والجزائر! يقولون سننتقم المباراة القادمة!

ليست هذه التقسيمة التي أرادها ربنا.طبيعي أن يكون هناك مُسَمَّيات من مهاجرين وأنصار، طبيعي أن يوجد أهل مكة وأهل المدينة، فربنا لم يقُل لك تَخَلَّ عن التقسيمات الاجتماعية، يعني لم يَقُل امشِ بجانب أبيك وكأنك لا تعرفه، لا! حتى لو كان كافرًا أنت مطالب أن تُحسِن إليه ،لكن في حدود الشرع. الزوجة الكتابية للمسلم، يُحسَن إليها في حدود الشرع .كل حديثنا يدور حول الأفكار الضالة التي تصدَّرت: (علمانية، وطنية، قومية،...).

المسلمون والعاملون للدِّين ماذا فعلوا إذاً؟

ربنا سبحانه وتعالى، وقد تكلمنا في هذه المسألة من قبل في أول سورة المجادلة، عندما يقول شخص لزوجته أنتِ أمّي، ربنا سمّاها زوجته وهو يسميها أمه، ويقول: أنا حر! لا؛ أنت لستَ حرًّا، ربنا قال بعدها: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ} (المجادلة: ٥). **أين هي المُحادَّة هنا؟**

هذا ذنب، أحدهم يقول لزوجته أنتِ أمي، أين هي المُحادَّة؟

من أجمل ما قرأت في معنى المحادَّة، ذكره الإمام البقاعي قال مامعناه: "**المُحادَّة من معانيها أنّهم يضعون حدودًا أخرى غير التي وضعها الله**"،معنى يُحادُّ: **ينازع الله في حدوده**، ربنا وضع حدودًا أن هذه زوجة وهذه أم، وهو يُغَيِّر المسَمَّيات فيصنع حدودًا ثانية.

فأنت لما فهمتَ الدين بفهم معين عندك، أحمد عبد المنعم –مثلًا– فَهِم الدين بفهم معين، فهمي أنا للدين ليس فهم السلف الصالح كله، وهذا الفهم هو فهم شخصٍ واحد متأخرٍ ليس مجتهدًا لن يُحيط بالدين كله طبعًا، فأنا قررت أن أكوّن جماعة معينة منكم، وأُلزِمُكم كلكم بفَهْمي، ورسمتُ حولكم سورًا: انظر يا بَنِيَّ، لا تسمعوا غير فهمي أنا، والذي لا يسمع الفهم الخاص بي فهو ضالٌّ! "أنا أعطيكم مثالًا فحسب"

أنا بهذا غيَّرتُ في العلاقات التي أرادها ربنا بينك وبين المسلمين، فأنت تقابل أخاك المسلم تقول باستهزاء: هذا ليس معنا، هذا من الضُّلَّال الذين تحدَّث عنهم الشيخ سابقًا! وتقول له: لو أردتَ ألَّا تكون من الضُّلَّال تعالَ معي للشيخ، لتنتمي للفرقة الناجية!!!

نحن نقول: **القرآن والسنة بفهم ((سلف الأمة)) وليس "سَلَفِيًّا"**

إلزام طائفة من الناس بفهم شخص –كائنًا مَن كان– خطأ فادح... إذا كان عند اختلاف الصحابة فليس قولُ أحدهم حُجَّة على الآخر، إلا في بعض الحالات– لو كان يُعلم عن أحدهما أنه يأخذ من أهل الكتاب مثلا...أيًّا كان– ثم تأتي أنت بشخص متأخِّر لم يُحِط بالدين، وفهمه جزئيٌّ بالتأكيد لأنه لم يُحِط بالدين، ويُلزِم به الناس، ويُكَوِّن مجموعة ويُلزِم إلزامًا وعقدًا عامًّا وليس خاصًّا في كل نواحي الحياة!!!

أنت بذلك تصنع رسومات أخرى غير التي أرادها ربنا! تعال درِّسني فقه الخِلاف طوييييلا؛ أنا لم أعُد أتقبَّل أخي المسلم المخالف لي.. اشرح لي كتبًا عن التَّجرُّد وسلامة الصدر مرات ومرات ...سأؤوِّلُ هذه النصوص كلَّها...أنا أصلًا تلبَّسَت عليَّ الضوابط!

مثلا؛ جلست مع أحد الإخوة ساعة حتى أقنعه؛ يا بني الإخوان مسلمون ليسوا كفارًا، هم اسمهم

أصلًا "الإخوان المسلمين"، أيًا كانت أخطاؤهم –بعيدًا عن الأخطاء–لكن يبقى مسلما ثم نبحث في فقه التعامل مع المسلم المخطئ لكن لا ننقله إلى كتاب الكفار، ((**هناك فارق بين عاملٍ للدين أخطأ، وبين أحد مُنكِر للدين أصلًا..**))

مثال: أحدهم سمع داعية يقول أحاديثَ ضعيفةً، فقرَّرَ أن يُنكِر عليه، فعُرِض عليه برنامج في التلفاز مع شخص شيعيٍّ مُنكر للسُّنَّةِ فقَبِلَ الخروج في هذا البرنامج حتى يرد على الداعية الذي قال الأحاديث

الضعيفة! أنت تخرج مع الذي يُنكر السُّنَّة أصلًا ويُحارِب الدين، لتُنكِر على الذي يقول أحاديث ضعيفة!

أنت هكذا تُلَبِّس على الناس وتجعلهم شِيَعًا... **فماذا يفعلون في بعضهم البعض؟** {وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ} (الأنعام: ٦٥) **هذا مايحدث!!!**

لذلك البداية تكون من فكِّ هذا اللَّبْسِ، ليس أن نَهدِمُهُم، **فكُّ اللَّبس بمعنى إعادة الضوابط والحدود لربنا سبحانه، يعني نَحُلّ المشكلة من**

الأساس، نفُكُّ اللَّبس، حتى لا يصبح هذا التشيُّع بتعصُّبٍ.. طبيعي أن يكون هناك انتماءات، شيخ الإسلام ابن تيمية كان يقول دائمًا: "ومذهب أصحابنا.."يقصد الحنابلة، وكان يخالف الإمام أحمد في قضايا، أنا أكلّمك حتى في مسائل فقهية وليست مسائل حياتية!

لذلك من الروايات الجميلة جدًا التي قرأتها لحديث "سألت ربي ثلاثا" روايةٌ قِيمَتها في سياق الحديث، الحديث بدأ بداية غريبة جدًا غيرَ كلِّ البدايات التي رأيتها في سنن أبي داوود، تقول: النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ مُلكَ أمتي سيبلغ ما زُوِيَ لي منها وأُعطِيتُ الكنزين الأحمر والأبيض، وإنّي سألتُ ربّي لأمّتي ألّا يهلكها بسَنَة بعامة، وألّا يُسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيحَ بَيْضَتَهم، وإنّ ربي قال لي: يا محمّد، إنّي إذا قضيت قضاءً فإنّه لا يُرَدُّ، أنا لا أُهلكهم بسَنَةٍ بعامةٍ ولا أسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيحَ بيضَتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها، حتى يكون بعضُهم يهلك بعضًا وحتى يكون بعضُهم يسبي بعضًا، وإنما أخاف على أمتي من الأئمةِ المضلِّين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائلُ من أمّتي بالمشركين، وإنّه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلُّهم يزعُم أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبيَّ بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرُّهم من خذلهم)[١٤].

سياقٌ عجيبٌ جدًا! ما أعجبني في الحديث: الخِطابُ النفسي المتكامل، عندما تسمع أنّنا سنفترقُ ونقتّلُ بعضَنا البعضَ من الممكن أن تُحبَط، بدايةُ الحديث أنّنا سنملكُ الأرضَ،

وآخر الحديث ستظلُّ طائفةٌ قائمةً على الحقّ! انظر إلى إحاطة الحديث

[١٤] - سبق تخريجه

بدايته: إنّ الله تعالى زوى لي الأرض وأنّ أمة النبي صلى الله عليه وسلم ستملك الأرض كلَّها ويُعطى الكنزين الأحمر والأبيض، تخيّل ملكَ فارس والروم! وآخرُ الحديث: **لا يعني وجودُ لبسٌ أنه لا توجد طائفة على الحقّ؛ لا، بل هناك طائفة على الحقّ، وأنت مُطالَبٌ أن تبحث عنها، مُطالَبٌ أن تصِلَ إلى الحقّ.**

لذلك آخر الحديث حتى لا تقول وأنت تسمع: ما هذا؟! إذاً هناك لَبْسٌ، أنا تائه! لا؛ (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق).. لذلك بعض السلف، -الإمام قتادة- لما كان يذكُر الحديث —ولم يكن يعرف هذه الرواية الكاملة التي في سنن أبي داوود- كان يذكر الحديث الأول ثم يقول: "وذُكِر لنا أيضًا حديث: (لا تزال طائفة من أمتي)، هو من نفسه يشعر أن الناس لابدّ أن يسمعوا الحديثين معًا!

النقطة الثانية، بداية اللبس من أين يأتي؟

بعدما قال-صلى الله عليه وسلم-: (حتّى يكونَ بعضُهم يهلك بعضًا ويكون بعضُهم يسبي بعضًا)

قال: (وإنّما أخاف على أمتي من الأئمة المضلِّين)[١٥] إذاً هؤلاء هم السّبب..

الأئمةُ المُضِلُّون متى يظهرون؟ عندما يموت العلماء، عقابًا أو قدرًا في آخر الزمان، أو عقابًا بأن يقبض ربنا العلماء، أو هم يتماوتون كما قلنا-يسكتون-، فيَظهر الأئمة المضِلُّون ويُفتُون بأمور تجعل الناس يتشيَّعون ويتعصبون، بعدما تَلَبَّس عليهم الحقُّ، ويظلّونُ يُلبِّسون عليهم ويقولون لهم: هؤلاء فِئَةٌ هؤلاء سيقتلونكم، هؤلاء كذا... ويظلُّ يقلّب على الناس ويأتيهم بأحاديث ويستدلُّ بأحاديث معينة.. فيتشيَّع الناس، ثم يتعصّبون ثم يقتل بعضهم البعض.

إذاً الحل كما فعل ابن عباس، لما لبس الحلة الطيبة وراح للخوارج يناظرهم وقال لسيدنا علي: "اتركني أذهب إليهم"، رجع ومعه منهم ألفان.

الحل الأساسي -وليس الوحيد- يكون بفك اللَّبس الذي عند االناس،وعند الجماعات والعاملين للإسلام أولًا، اللَّبس الذي دخل بيننا،البأس الذي حدث بيننا؛ نفك اللبس أولًا...واضح؟

قضية الاختلاف؛ لما شخص يقول : ما الحل إذاً؟ نحن نرى أن الحل حتى لا يحدث الخلاف: أن نسمع كلام شخص واحد، ومَن لا يطيعه يخرج، حتى لا نقع بشكل متكرر في لبس.. نحن نريد أن نفك هذه الأزمة!!!

[١٥] - سبق تخريجه

اسمعوا يا جماعة: ((**الله عز وجلّ وضع فينا الخلاف كما وضع فينا الشهوة**))، أي أن تركيبة عقولنا مختلفة عن بعض، نفسياتنا مختلفةٌ عن بعض، ليس المعنى أنّ الدين ليس له تفسير واحد، لا... ليس مثل الفكرة الليبرالية، لا، بل هناك أصول ثابتة، الأصول الكُلِّيَّة للدين ثابتة، لكن {**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ**} (هود: ١١٨-١١٩)، قيل: ولذلك خلقهم أي ليرحمهم، وقيل: ولذلك خلقهم أي ليختلفوا! هذه الآية لأن فيها شبهة ...قيل ولذلك خلقهم ليرحمهم وقيل ولذلك خلقهم أي ليصيروا فريقين مختلفين فريق إلى الجنة وفريق إلى النار- فمن الممكن أن نستدل بها على الخلاف الموجود، لكن ليس هذا هو الأصل في تفسيرها، يمكِنُك أن تُسقِط استدلالًا، لكن ليس هذا هو الأصل في تفسيرها.

الشاهد أن ربنا فطرنا على هذا الخلاف، كما فطرنا على الشهوة، وقال لنا: هناك قواعد للتعامل مع الشهوة حتى تنجو أن تتزوج، أن تصوم، أن تغُضَّ بصرك... هل الحل مع الشهوة الاختصاء كما ظنّ بعض الصحابة؟ أن أقطع المشكلة من أصلها؟ بدلا من أن أغُضَّ بصري وأتزوج وأصوم! فقال: "يا رسول الله ائذن لنا في الاختصاء، ولو أَذِن لنا لفعلنا"[١٦]

الصحابي يقول هذا!حسنًا، ربنا وضع فينا الخلاف، تفكيرنا متفاوت، معنى أن أُلغيَ عقلي= كأنك تطالبني بالاختصاء! لن يصلح ذلك، أنا ربي فطرني على هذا، هذا طبيعي. لكن ربنا أعطانا شرعًا يدلُّنا كيف نتعامل مع الخلاف، لذلك من قَدَرِ الله أن يحدث هذا الخلاف بين الصحابة،

خيرةِ الناس بعد الأنبياء، من قَدَر ربنا أنّ هذه التجربة حدثت- ليس حتى بين التابعين- بل بين مَن هم أحد وسائل التلقّي لهذا الدّين؛" فهْمُ الصحابة"! حدث بينهم هذا حتّى نرى ما هو الدّين عند الخلاف، الخلاف سيحدث لكن هناك دين وينجو من ينجو.

كمثال سريع جدًا: النبي صلى الله عليه وسلم قال: تقتله الفئة الباغية -عمَّار-[١٧]

---

[١٦] - [عن عبدالله بن مسعود:] كُنّا نَغْزُو مع النبيّ ﷺ ليسَ لَنا نِساءٌ، فَقُلْنا: يا رَسولَ اللَّهِ، ألَا نَسْتَخْصِي؟ فَنَهانا عن ذلكَ.البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٥٠٧١ • [صحيح]

[١٧] - [عن عمرو بن العاص:] لما قُتِلَ عمارُ بنُ ياسرٍ دخلَ عمرُو بنُ حَزْمٍ على عمرِو بنِ العاصِ فقال قُتِلَ عمارٌ وقدْ قال رسولُ اللهِ ﷺ تقتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ فقامَ عمرُو بنُ العاصِ [فَزِعًا] يُرَجِّعُ حتّى دَخَلَ على مُعاويةَ فقالَ له معاويةُ [ما شأنُكَ قال قُتِلَ عمارٌ] فقال معاويةُ قدْ قُتِلَ عمّارٌ فماذا قال عمرُو سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ تقتُلُهُ الفئةُ الباغِيَةُ فقال له معاويةُ دُحِضتَ في بولِكَ أنحْنُ قتَلْناهُ إنَّما قَتَلَهُ عَلِيٌّ وأصحابُهُ جاءُوا به حتى ألْقَوْهُ بينَ رِماحِنا أوْ قال بينَ سيوفِنا الهيثمي (ت ٨٠٧)، مجمع الزوائد ٢٤٤/٧

فكانت الفئة التي معها الحق فئة سيدنا علي، والتي أخطأت هي فئة معاوية.. مَن تبع عليًّا رضي الله عنه طمعًا في حكم وفي مال فهو آثم، ومن تبعَ معاوية يريد نصرة دين الله ويرى أنه الحق فهو مجتهد له أجر.. مرة أخرى: من تبع عليًّا -أي من وقف في الصف الحق- لكن بنيَّةٍ فاسدة يريد مُلكًا أو مالًا فهو آثم، ومن وقف في الصف المخطئ -في صف معاوية-

- رجال أحمد رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وهو ثقة

يريد نصرة دين الله ويديَّن لله أنه الحق فهو مأجور مجتهد له أجر واحد.

إذًا الخلاف سيحدث، لكن القضية ماذا سنفعل في الخلاف؟

لو الدنيا تلبَّست علينا ولم نعرف ماذا نعمل، سنتشيَّع، سنُذيق بعضَنا بأس بعض.. المفترض في بداية الخلاف [كما حدث في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ولما يُدفَن النبي صلى الله عليه وسلم بعد! مشهد عجيب، فقهٌ عالٍ من الصحابة، النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن بعد[١٨]... قصة طويلة برواياتها موجودة في كتب كثيرة،

[١٨] - [عن عبدالله بن عباس:] كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، منهمْ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وهو عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عبدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لو رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اليومَ، فَقَالَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هلْ لكَ فِي فُلَانٍ؟ يقولُ: لو قدْ مَاتَ عُمَرُ لقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللَّهِ ما كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ. قَالَ عبدُ الرَّحْمَنِ: فَقُلْتُ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لا تَفْعَلْ، فإنَّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وغَوْغَاءَهُمْ، فإنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وأَنْ لا يَعُوهَا، وأَنْ لا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فأَمْهِلْ حتَّى تَقْدَمَ المَدِينَةَ، فإنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ والسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بأَهْلِ الفِقْهِ وأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ ما قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ العِلْمِ مَقَالَتَكَ، ويَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أما واللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَأَقُومَنَّ بذلكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بالمَدِينَةِ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فِي عُقْبِ ذِي الحَجَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ عَجَّلْتُ الرَّوَاحَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، حتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بنَ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُكْنِ المِنْبَرِ، فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا، قُلْتُ لِسَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ: لَيَقُولَنَّ العَشِيَّةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ، فأنْكَرَ عَلَيَّ وقَالَ: ما عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ ما لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ، فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى المِنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ المُؤَذِّنُونَ قَامَ، فأثْنَى عَلَى اللَّهِ بما هو أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فإنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لا أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِي، فَمَن عَقَلَهَا ووَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بهَا حَيْثُ انْتَهَتْ به رَاحِلَتُهُ، ومَن خَشِيَ أَنْ لا يَعْقِلَهَا فلا أُحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ: إنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالحَقِّ، وأَنْزَلَ عليه الكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وعَقَلْنَاهَا ووَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ورَجَمْنَا بَعْدَهُ، فأخْشَى إنْ طَالَ بالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: واللَّهِ ما نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، والرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ علَى مَن زَنَى إذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، إذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ، ثُمَّ إنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيما نَقْرَأُ مِن كِتَابِ اللَّهِ: أَنْ لا تَرْغَبُوا عن آبَائِكُمْ، فإنَّه كُفْرٌ بكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عن آبَائِكُمْ، أَوْ إنَّ كُفْرًا بكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عن آبَائِكُمْ. أَلَا ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَالَ: لا تُطْرُونِي كما أُطْرِيَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ، وقُولوا: عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ ثُمَّ إنَّه بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنكُم يقولُ: واللَّهِ لو قدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَانًا، فلا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وتَمَّتْ، أَلَا وإنَّهَا قدْ كَانَتْ كَذلِكَ، ولَكِنَّ اللَّهَ وقَى شَرَّهَا، ولَيسَ مِنكُم مَن تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَن بَايَعَ رَجُلًا عن غيرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فلا يُبَايَعُ هو ولَا الذي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلَا، وإنَّه قدْ كَانَ مِن خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا، واجْتَمَعُوا بأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ والزُّبَيْرُ ومَن معهُمَا، واجْتَمَعَ المُهَاجِرُونَ إلى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: يا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بنَا إلى إخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا منهمْ، لَقِيَنَا منهمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا ما تَمَالَأَ عليه القَوْمُ، فَقَالَا: أَيْنَ تُرِيدُونَ يا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ؟ فَقُلْنَا: نُرِيدُ إخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَا: لا عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَقْرَبُوهُمْ، اقْضُوا

وذهبوا للسقيفة وقالوا لأبي بكر أسرِع فالأنصار ذهبوا للسقيفة وسيُأمِّرون واحدًا، فذهب أبو بكر، قالوا له: منا أمير ومنكم أمير، قال: لا بل نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وغضب سعد بن عبادة وأصرَّ عمر، وردّ أبو بكر قال: اختاروا عمرَ أو أبا عبيدة، وعمر أخذ بيد أبي بكر... حديث طويل، مشكلة كهذه، خلاف ضخم خلاف في الخلافةِ لمن؟ في الأمير!، في أضخم مشكلة من الممكن أن تحدث، **والنبي صلى الله عليه وسلم لم يترك نصًّا لهذه المشكلة، ولكنه ترك طريقة للتعامل مع هذه المشكلة..**
مرة أخرى: النبي صلى الله عليه لم يترك نصًّا لحل هذه المشكلة.

جمهور أهل السنة –خلافًا للبعض– الجمهور على أن خلافة أبي بكرٍ بالبيعة وليست بالنصّ، أي ليس منصوصًا عليها، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقُل: الخليفة بعدي أبو بكر، وكل النصوص التي جاءت في البخاري تحتمل ذلك : هي دلالات يُستأنَس بها، يستأنسون بها أنه أفهمهم وأفقههم... لكن ليس بالنص، لأنه لو كان هناك نصٌّ كان يحرم على أبي بكر ألا يصرح حينها، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولم يقل أحدا في السقيفة: رسول الله قال كذا– وهم كانوا مجتمعين كلهم فليس من المعقول أن يغيب عنهم كلهم الدليل– ولا تجتمع الأمة على ضلالة.. أيًّا كان، ليست هذه قضيتنا.

أَمْرَكُمْ، فَقُلتُ: واللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ، فَانْطَلَقْنَا حتَّى أَتَيْنَاهُمْ في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلتُ: مَن هذا؟ فَقالوا: هذا سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، فَقُلتُ: ما له؟ قالوا: يُوعَكُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلًا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فأثْنَى علَى اللَّهِ بما هو أهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ أنْصَارُ اللَّهِ وكَتِيبَةُ الإسْلَامِ، وأَنْتُمْ مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وقدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِن قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أنْ يَخْتَزِلُونَا مِن أصْلِنَا، وأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأمْرِ. فَلَمَّا سَكَتَ أرَدْتُ أنْ أتَكَلَّمَ، وكُنْتُ قدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أنْ أُقَدِّمَهَا بيْنَ يَدَيْ أبِي بَكْرٍ، وكُنْتُ أُدَارِي منه بَعْضَ الحَدِّ، فَلَمَّا أرَدْتُ أنْ أتَكَلَّمَ، قَالَ أبو بَكْرٍ: علَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ فَكانَ هو أحْلَمَ مِنِّي وأَوْقَرَ، واللَّهِ ما تَرَكَ مِن كَلِمَةٍ أعْجَبَتْنِي في تَزْوِيرِي، إلَّا قَالَ في بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أوْ أفْضَلَ منها حتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: ما ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِن خَيْرٍ فأنْتُمْ له أهْلٌ، ولَنْ يُعْرَفَ هذا الأمْرُ إلَّا لِهذا الحَيِّ مِن قُرَيْشٍ، هُمْ أوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا ودَارًا، وقدْ رَضِيتُ لَكُمْ أحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أيَّهُما شِئْتُمْ، فأخَذَ بيَدِي وبيَدِ أبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وهو جَالِسٌ بيْنَنَا، فَلَمْ أكْرَهْمِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كانَ واللَّهِ أنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، لا يُقَرِّبُنِي ذلكَ مِن إثْمٍ، أحَبَّ إلَيَّ مِن أنْ أتَأَمَّرَ علَى قَوْمٍ فيهم أبو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إلَّا أنْ تُسَوِّلَ إلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شيئًا لا أجِدُهُ الآنَ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، مِنَّا أمِيرٌ، ومِنكُم أمِيرٌ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وارْتَفَعَتِ الأصْوَاتُ، حتَّى فَرِقْتُ مِنَ الِاخْتِلَافِ، فَقُلتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يا أبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأنْصَارُ. وتَزَوْنَا علَى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ قَائِلٌ منهمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ، فَقُلتُ: قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ، قَالَ عُمَرُ: وإنَّا واللَّهِ ما وجَدْنَا فِيما حَضَرْنَا مِن أمْرٍ أقْوَى مِن مُبَايَعَةِ أبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إنْ فَارَقْنَا القَوْمَ ولَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ: أنْ يُبَايِعُوا رَجُلًا منهمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ علَى ما لا نَرْضَى، وإمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكونُ فَسَادٌ، فَمَن بَايَعَ رَجُلًا علَى غيرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فلا يُتَابَعُ هو ولَا الذي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أنْ يُقْتَلَا.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٨٣٠ • [صحيح]

النبي صلى الله عليه وسلم ترك لهم طرق التعامل في الخلاف الشرعي، عندنا قواعد عندنا شرع نرجع إليه عندما نختلف، لكن ليس الحل أن يقتل بعضنا بعضًا. مشكلة السقيفة هذه لو حدثت بين أناسٍ لم يتلَقَّوا التربية النبوية مثل الصحابة، لو حدثت بين أناس لم يتلَقَّوا التربية بالقرآن والسُنَّة لكانوا قضوا ٥٠٠ سنة حتى يحلوها! لكنهم حلوها في جلسة، مشكلة بهذه الضخامة حُلَّت في مجلس: تشاوروا هناك نصٌّ يقول كذا، والنبي قال كذا، حسنًا، وانتهى الأمر، توكلنا على الله.

فها هو الخلاف وُجِدَ بينهم لكن تمّ حلّه بطرق شرعيّة، لكن لو كان هناك لَبْسٌ؛ لا توجد نصوص لا يوجد فَهمٌ للدين، لا يوجد علماء يتكلمون، فيخرج أئمة ضالّون: أيها الناس عليكم بكذا وطوبى لمن قتلهم وقتلوه... فيتشيعوا ويذيق بعضهم بأس بعض، إذًا الحل في فك اللبس.

إذاً الخلاف أمر في الفطرة فسيحدث حتما، ولكن هناك أصول نُرَدُّ إليها.

لما عمر بن الخطاب وقف أمام الناس وقال: والله ما مات رسول الله، ومن قال إنّ محمدًا قد مات قطعت عنقه، وليعودن رسول الله ليقطع عنقه... أتى سيدنا أبو بكر وقال: لا ليس هذا هو الدين، – بغض النظر عن المنافقين الموجودين في الموقف –

أيها الحالف على رَسلِك: {وما محمد إلا رسول} وبيَّن المسألة وانتهى الأمر.[١٩]

[١٩] - [عن عائشة أم المؤمنين:] أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، مَاتَ وأَبُو بَكْرٍ بالسُّنْحِ، - قَالَ: إسْمَاعِيلُ يَعْنِي بالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يقولُ: واللَّهِ ما مَاتَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قَالَتْ: وقَالَ عُمَرُ: واللَّهِ ما كانَ يَقَعُ في نَفْسِي إلَّا ذَاكَ، ولَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أيْدِيَ رِجَالٍ وأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أبو بَكْرٍ فَكَشَفَ عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا ومَيِّتًا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا يُذِيقُكَ اللَّهُ المَوْتَتَيْنِ أبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أيُّها الحَالِفُ علَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أبو بَكْرٍ وأَثْنَى عليه، وقَالَ: ألَا مَن كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فإنَّ مُحَمَّدًا قدْ مَاتَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، وقَالَ: {إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: ٣٠]، وقَالَ: {وَما مُحَمَّدٌ إلَّا رَسولٌ قدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أفَإنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ علَى أعْقَابِكُمْ ومَن يَنْقَلِبْ علَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شيئًا وسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: واجْتَمَعتِ الأنْصَارُ إلى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقالوا: مِنَّا أمِيرٌ ومِنكُم أمِيرٌ، فَذَهَبَ إلَيهِم أبو بَكْرٍ، وعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فأسْكَتَهُ أبو بَكْرٍ، وكانَ عُمَرُ يقولُ: واللَّهِ ما أرَدْتُ بذلكَ إلَّا أنِّي قدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قدْ أعْجَبَنِي، خَشِيتُ أنْ لا يَبْلُغَهُ أبو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ في كَلَامِهِ: نَحْنُ الأُمَرَاءُ وأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بنُ المُنْذِرِ: لا واللَّهِ لا نَفْعَلُ، مِنَّا أمِيرٌ، ومِنكُم أمِيرٌ، فَقَالَ أبو بَكْرٍ: لَا، ولَكِنَّا الأُمَرَاءُ، وأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، هُمْ أوْسَطُ العَرَبِ دَارًا، وأَعْرَبُهُمْ أحْسَابًا، فَبَايِعُوا عُمَرَ، أوْ أبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أنْتَ، فأنْتَ سَيِّدُنَا، وخَيْرُنَا، وأَحَبُّنَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأخَذَ عُمَرُ بيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ، فَقَالَ عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ، وقَالَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَالِمٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ: عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ القَاسِمِ، أخْبَرَنِي القَاسِمُ، أنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: شَخَصَ بَصَرُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: في الرَّفِيقِ الأعْلَى ثَلَاثًا، وقَصَّ الحَدِيثَ، قَالَتْ: فَما كَانَتْ مِن خُطْبَتِهِما مِن خُطْبَةٍ إلَّا نَفَعَ اللَّهُ بهَا لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ، وإنَّ فيهم لَنِفَاقًا فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بذلكَ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أبو بَكْرٍ النَّاسَ الهُدَى، وعَرَّفَهُمُ الحَقَّ الذي عليهم وخَرَجُوا به، يَتْلُونَ {وَما مُحَمَّدٌ إلَّا رَسولٌ، قدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: ١٤٤] إلى {الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤]./ البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٦٦٧
• [صحيح]

طبعًا هذا مبحث أكبر مني، والأئمة تكلموا في قضية الخلاف وأنواعه والسائغ وغير السائغ، والمذموم والجائز، أمور كثيرة وشيخ الإسلام أفاض في هذا وقسمه لأنواع وتفاصيل ذلك، ومتى نقول الخلاف شر، ومتى نتنازل ومتى لا يصحُّ أن نتنازل، ومتى يجوز لك أن تبقى تحت أمير ويقول لك على أمر أنت تراه خلاف الأوْلى وتعملُه، ومتى تكون تحت أمير كابن عمر فلا يقتل الأسرى وهو تحت خالد بن الوليد، ومتى تكون تحت أمير ولا تطيعه عندما قال لهم: ادخلوا النار ولم يطيعوه.

النصوص في المسألة كثيرة، لكن أنا أقول هناك شرع يحكم هذه المسائل وعدم تدخل العلماء لحل هذه الأزمات يؤدي إلى التعصب والتشيع الأعمى، يؤدي إلى التقاتل ونذيق بعضنا بأس بعض.عدم التأصيل العلمي الواضح، وفك هذا اللبس يؤدي إلى عواقب وخيمة.

لذلك ربنا سبحانه وتعالى يقول: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ} (المائدة: ١٤) قيل نصارى من قرية الناصرة، أو قالوا { إِنَّا نَصَارَىٰ} أي سننصر هذا الدين، قالوا: نحن سننصر هذا الدين...ثم أخذنا ميثاقهم، ماذا فعلوا؟ { فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} (المائدة: ١٤) فماذا حدث؟ { **فَأَغْرَيْنَا**} انتبه لهذه اللفظة: { أَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} (المائدة: ١٤) أصبح الجدال والنزاع بينهم فيه إغراء! أصبح ملاصقا لهم! تخيل كيف أصبح حب الشجار بينهم؟!..كم أكون فرِحًا وأنا أسبك! في قمة السعادة ونحن نقتل في بعضنا بعضًا!، يشعر أنه حقق نصرًا!أصبح هذا حالهم {**فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ**} (المائدة: ١٤) متى حدث {فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ} (المائدة: ١٤)؟ هذا من اللبس حدث لما {فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} (المائدة: ١٤) التي هي **فكرة التطبيق الجزئي للدين، العرض الجزئي للدين وليس العرض الكامل.**

يقول شيخ الإسلام: ومن هذه الأمة من سيقع في هذا الأمر، وأتى بمثال على المتفقهة والمتصوّفة، **المتصوّفة** :الذين يعتقدون أنّ العبادة أهمُّ شيءٍ وأنّ العلم غيرُ ضروريّ!

والمتفقهة: الذين اعتقدوا أن العلم هو أهم شيء وأنّ هؤلاء العُبَّاد لا يفهمون شيئًا!

وذكر أنّ هذا الخلاف موجود، منهم من تشبَّهَ بالموسويَّة ومنهم من تشبَّه بالعيسويَّة أي منهم من تشبه باليهود واهتمّ بالعلم وقصَّر في الطاعة حتّى كان من المغضوب عليهم، ومنهم من اهتمّ بالعبادة حتى ضلّ وكان من الضالّين. دائمًا يضرب شيخ الإسلام مثال بمسألة المتصوّفة والمتفقهة والخلاف بينهم- فيقول: ومن هذه الأمة كهؤلاء الذي أخذ جزءًا من الدين وقال: هذا هو الدين-الذي أفعله أنا هو الدين.. وأقول للناس: يا جماعة الذي أفعله أنا هو الدين فقط! ماذا عن وفلان وفلان إذاً؟ فيقول:لا، هذا ليس من الدين! حسنًا نحن نريد أن نكون داخل الدين، فيقول: تعالوا نحارب الذين هم ضد الدين، فيقول: هذا ضدي حتّى لو مسلم حاربوه سبوه اهدموه اقتلوه!

لو اقتنع وفهم من البداية أنه **جزء** من الدين أصلًا!! يكفي تلبيسا على الناس! أنت جزء من الدين ولست الدين كله ، لماذا تعرض نفسك على أنك الدينُ كلّه؟! أنت هكذا تُلَبِّس على الناس.. لماذا تجعل الناس يتعصبون لك؟ كيف تجعل الناس يتشيعون لك ويتعصبون لك؟!

النبي صلى الله عليه وسلم كلٌّ -تقريبًا وهذا يحتاج استقصاء حتى لا أقول كلمة كلّ- أو أغلب المواقف التي ذُكر فيها الأنبياء ذكرهم ربنا سبحانه وتعالى سواءً في القرآن أو في أحاديث ذكرها الرسول صلي الله عليه وسلم فيها عتاب لبعض تصرفات بخلاف الأَولى للأنبياء؛ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعمَّد أن يأتي بالنبي أو الموقف ويلتمس له فيه عذرًا، أو يقول: لا تتكلموا عن النبي الآخر،

(الأنبياء أخوة لعلَّات).[٢٠] قول مثلًا: (لا تفضّلوني على يونسَ بن مَتَّى)[٢١] ،

وذلك عندما قال الله تعالى: {وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ} (القلم: ٤٨)

فيقول: (لا تفضلوني على يونس بن متَّى) أيًّا كان النبي أو ما هي التوجيهات التي قالها العلماء في الأحاديث التي تشبه هذا. عندما قال أحد اليهود في المدينة: إن موسى خير البريَّة أو خير من محمد فلطمه مسلم.

---

[٢٠] - [عن أبي هريرة:] أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِن عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ. مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٦٥ • [صحيح]

[٢١] - [عن عبدالله بن مسعود:] لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِن يُونُسَ زَادَ مُسَدَّدٌ: يُونُسَ بنِ مَتَّى. البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٤١٢ • [صحيح]

القضية عصبية ليست قضية علم فلطمه... فالنبي صلى الله عليه وسلم غضب، قال: لا تقولوا هذا أو لا تفعلوا هذا، الحديث في البخاري،

(إننا نُصعق فنقوم فأكون أول من يفيق فأرى موسى آخذا بقوائم العرش فلا أدري أصُعِقَ أم أخذ بالصعقة في الجبل، لما دُكَّ فيها الجبل)[٢٢]

فيأتي بموقف ولا يقول له: الصحيح كذا والأولى كذا... لئلا ينمو هذا التعصب في النفوس حتى عن الأنبياء.

يمرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقصة يوسف مثلًا في مسألة: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا} (يوسف: ٢٤) يمرّ به لايتوقف عنده وكذلك بموقف السجن وعلى بعض الأقوال أن قوله تعالى: {اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ} (يوسف: ٤٢) كأن فيه بعض العتاب من ربنا، فلا يأتي —صلى الله عليه وسلم– بموقف {اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ} (يوسف: ٤٢) بل يأتي بموقف {ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ} (يوسف: ٥٠)!

فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لو لبثتُ ما لبِث يوسف في السجن لأجبت الداعي)[٢٣]..

أي لو كان أتاني الداعي وقال لي: الملك يريدك، كنتُ خرجتُ فورًا ولم أقُل لأحد ارجع إلى ربك، هذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن نفسه: (لو لبثتُ ما لبِث يوسف في السجن لأجبت الداعي)! لكن يوسف أصرَّ أن يقول: {ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ} (يوسف: ٥٠)

---

[٢٢] - [عن أبي سعيد الخدري:] جاءَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ إلى النبيِّ ﷺ قدْ لُطِمَ وجْهُهُ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ رَجُلًا مِن أصْحابِكَ مِنَ الأنْصارِ قدْ لَطَمَ في وجْهِي، قالَ: ادْعُوهُ. فَدَعَوْهُ، قالَ: لِمَ لَطَمْتَ وجْهَهُ قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي مَرَرْتُ باليَهُودِ فَسَمِعْتُهُ يقولُ: والذي اصْطَفى مُوسى على البَشَرِ، قالَ: قُلْتُ: وعلى مُحَمَّدٍ ﷺ، قالَ: فأخَذَتْنِي غَضْبَةٌ فَلَطَمْتُهُ، قالَ: لا تُخَيِّرُونِي مِن بَيْنِ الأنْبِياءِ، فإنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَومَ القِيامَةِ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فإذا أنا بمُوسى آخِذٌ بقائِمَةٍ مِن قَوائِمِ العَرْشِ، فلا أدْرِي أفاقَ قَبْلِي، أمْ جُوزِيَ بصَعْقَةِ الطُّورِ.البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٩١٧ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٩١٧) واللفظ له، ومسلم (٢٣٧٤)

[٢٣] - [عن أبي هريرة:] لو لَبِثْتُ في السِّجنِ ما لَبِثَ يوسفُ، ثمَّ جاءَني الداعي لَأجَبْتُه، إذ جاءه الرسولُ، فقال: {ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ ما بالُ النِّسْوةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٠]، ورحمةُ اللهِ على لوطٍ، إنْ كان لَيَأْوِي إلى رُكنٍ شديدٍ، إذ قال لقومِه: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: ٨٠]، وما بعَثَ اللهُ مِن بعدِه مِن نَبِيٍّ إلَّا في ثَرْوةٍ مِن قومِه.

شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ٨٣٩٢ • صحيح • أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١)

ويقول صلى الله عليه وسلم: (رحمة الله على أخي لوط كان يأوي إلى ركن شديد)[٢٤].

ويُجيب النبي —صلى الله عليه وسلم- لما سمع واحدًا يقول: يا خير البرية -ينادي على النبي صلى الله عليه وسلم-، قال: (ذاك إبراهيم)[٢٥]

انظروا كيف يُعلِّم الصحابة!

ويأتي أقرب الناس إليه، -أبو بكر الصديق-، أقرب الناس وأكثر الناس تعلقًا بالنبي صلى الله عليه وسلم عندما يموت النبي صلى الله عليه وسلم، هو الوحيد الذي يقوم ويبقى ثابتًا ويربط الصحابة بالله... استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يربط أبا بكر بالله وأن يجعل علاقته بالنبي صلى الله عليه وسلم لأجل الله، فكان أكثرُ إنسان يحبه هو أكثر إنسان متعلق بالله.

لكن نحن أحيانًا بتصرفاتنا نجعل من يصاحبنا يصبح متعصبًا لنا جدًا، فأنا عندما أخطئ يقول لي: آمين "أي يوافقني على الخطأ"، لا... أنا أحتاج عندما أخطئ من ينصحني ويقوِّمني...

واضح؟

نعود لسورة الأنعام، لكن الأمر يزداد فتنة بين المسلمين، ونحن نحتاج لوقفة، نحتاج أن نرجع للضوابط التي وضعها ربنا، الحدود التي وضعها الله. عندما تدخل المسَمَّيات المعاصرة في مسائل الولاء والبراء يُنهى عنها... الصحابة كانوا يقال لهم "المهاجرين والأنصار" لابأس، لكن أول ما قالوا: ياللمهاجرين ويالللأنصار، قال: أبِدَعْوَى الجاهلية![٢٦]

---

[٢٤] - [عن أبي هريرة:] عن النَّبيِّ ﷺ: قال لُوطٌ: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: ٨٠]، قال: قد كان يَأوي إلى رُكنٍ شَديدٍ، ولكنَّهُ عَنى عَشيرَتَهُ، فما بعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ بَعدَهُ نَبيًّا إلّا بعَثَهُ في ذِروةِ قَومِهِ. قال أبو عُمَرَ: فما بعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ نَبيًّا بَعدَهُ إلّا في مَنَعةٍ مِن قَومِهِ.

شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج المسند ١٠٩٠٣ • صحيح • أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١)

[٢٥] - [عن أنس بن مالك:] جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فَقالَ: يا خَيْرَ البَرِيَّةِ فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ذاكَ إبْراهِيمُ عليه السَّلامُ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٦٩ • [صحيح]

[٢٦] - [عن جابر بن عبدالله:] كُنَّا في غَزاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ، فَقالَ الأنْصارِيُّ: يا لَلْأنْصارِ، وقالَ المُهاجِرِيُّ: يا لَلْمُهاجِرِينَ، فَسَمَّعَها اللَّهُ رَسولُه ﷺ قالَ: ما هذا؟ فَقالوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ، فَقالَ الأنْصارِيُّ: يا لَلْأنْصارِ، وقالَ

هم اسمهم المهاجرين والأنصار: { لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ} (التوبة: ١١٧) مذكورون في القرآن باسم المهاجرين والأنصار!

لفظة المهاجر كشخص بذل لدين الله فيُلقَّب بلقب شرعي يدل على بذله للدين...هذا يختلف عن التعصب لطائفة.. لفظ المهاجر هذا دلالة على البذل، لفظ الأنصار هذا دلالة على النصرة.

فلما نقول لفظ القرّاء، العلماء، الفقهاء فلا بأس، لكن لفظة التعصب لهذا أو ذاك... مثل :يااللشافعية يااللأحناف ويتنازعون...لا!!!

قرأتُ في بعض الكتب أنه عُرِضَت فرصة أن يُكتَب دستور للشريعة وأُرسِل للفقهاء أن يجلسوا سويًّا –في الآونة الأخيرة في آخر مئة سنة أو نحوها – بعد سنة ١٩٢٤م–.فاجتمع علماء من المذاهب الأربعة، فاختلفوا وتنازعوا هذا يريد الشافعي وهذا يريد الأحناف... فانتهى الأمر أن كُتِبَت مواد من الدستور فرنسي، **طالما أنتم تنازعتم مع بعضكم البعض فلنأخذ بالفرنسي!**.. فقالوا: هذا أفضل من أن يُطبَّق المذهب الآخر! انظر إلى أين وصل التعصب!! فيوافق على أن تأتي مواد من فرنسا لكن لا يطبق مذهب الأحناف! فتغضب الشافعية! انظر إلى أين يوصل التعصب!...في حين أن أئمتهم لم يقولوا بذلك، أئمتهم كانوا يُصِرُّون أن يسيروا وراء الدليل.

إذاً مرحلة اللَّبس تبدأ بأن نضع تقييمات غير التي وضعها ربنا، نضع حدودًا غير التي وضعها ربنا، ونعيش عليها سنين. نحن الآن منذ سنين نسمع عن تقسيمات وكأنها أصبحت مُسَلَّمات، فعندما تُلَمِّح فقط أن أخاك الذي يُصَدَّر لك –مثلًا منذ ٢٠ سنة– أنه يتبنى فكر خطأ بعيدا عن الحدود التي وضعها الله،**فتقول: ما هذا؟ فينتفضون ويردون عليك: "ماذا تقول؟ ما هو قصدك؟"!!!**

ما هذا الإرهاب الفكري الذي تمارسه عليَّ!!!

المُهاجِرِيُّ: يا لَلْمُهاجِرِينَ، فَقالَ النبيُّ ﷺ : دَعُوها فإنَّها مُنْتِنَةٌ قالَ جابِرٌ: وكانَتِ الأنْصارُ حِينَ قَدِمَ النبيُّ ﷺ أكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهاجِرُونَ بَعْدُ، فَقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ: أوَقَدْ فَعَلُوا، واللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فَقالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: دَعْنِي يا رَسولَ اللَّهِ أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنافِقِ، قالَ النبيُّ ﷺ : دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أصْحابَهُ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٩٠٧ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٤٩٠٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٤)

لذلك –أختم بهذه الآية– في قول الله عز وجل في سورة النمل، لما سيدنا سليمان سأل بلقيس: { قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ} (النمل: ٤٢) **قال لها هل هذا عرشك؟** قالت: كَأَنَّهُ هُوَ، كلمة "كَأَنَّهُ هُوَ" (النمل: ٤٢) هذه، أنا لا أريد أن أقول لك ماذا قال المفسرون في حكمتها ودقتها وجزالة اللفظ والدقة، يعني كلمة في قمة الحكمة! لا قالت: هو، ولا قالت: ليس هو! امرأة بهذه الحكمة استطاعت أن تقود شعبًا كاملًا...

فأنت تستغرب كيف سجدت هذه المرأة للشمس؟؟

كأنك تريد أن تقول ما هذا الغباء؟

كيف تقدّم امرأة بهذه العقلية الجبارة قرابين لمخلوق يأفل ويغيب؟!

سيدنا إبراهيم قالها ببساطة هكذا: { لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} (الأنعام: ٧٦)...

فأنت تتعجب من هذا التناقض.

فيقول الله: { وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} (النمل: ٤٢) عن سيدنا سليمان، أي أن سليمان جمع بين العلم الذي كان عندها لكن مع الإسلام، { وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} (النمل: ٤٢)، **ما الذي جعلها لا تسلم إذًا؟!** {وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ} (النمل: ٤٣)، انتماؤها لقومها، قوميتها منعتها من الإيمان.

كيف أسلمت بعد ذلك؟ لما ابتعدت عن قومها وذهبت إلى سليمان ورأت علم سليمان، قالت: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} (النمل: ٤٤)، **كيف ظلمتِ نفسك؟** أجرمتُ في حق نفسي أنّي لم أكن أفكر، أجرمت في حق نفسي أني كنت أسير مع الناس.

فالحل إذاً للمُتعصّب، الذي لا يرى، ويعيش بآية {وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ} (المائدة: ٧١) يظن أنه لا يُفتَن وجماعته لا تُفتَن وشيخه لا يُفتَن فبالتالي –في سورة المائدة– ما الذي سيحدث تباعًا؟>>> {فَعَمُوا وَصَمُّوا} (المائدة: ٧١) **تنادي عليه وهو يكمل طريقه، لماذا؟** لأنه يرى أنه يسير في "طريق الحق" هو قد أخذ قرارًا أنه لايمكن أن يُفتَن! مستحيل أن يُفتَن!

فبالتالي مَن يفكر بهذه الطريقة لن يستمع أبدًا لنصائح أحد، الحل معه أمرين:

- ابعاده عن المؤثّرات النفسية المحيطة به، أن تُخرجه فقط للخارج، حاول أن تخرجه.

- طرح علمي قوي بدليل علمي قوي كما يقول ربنا: { وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} (النمل: ٤٢) رؤية علمية قوية، طرح علمي قوي، وليس استخفافيًّا.

لا يكون الحل إذا أردت أن تنصح شخصًا مُتعِّصبًا أن تُسجِّل سخرية منه، أنت بهذا تزيده تعصبًا، سيقول لك: أتبعُ الحق ولو كنتُ وحدي، و ليس مهم رأيك المهم الحق!!!..أنت زدته تمسّكًا.

فالحل أن تحاول أن تنزعه من المؤثّرات، وتطرح عليه رؤية علمية متكاملة... عندها يقول: نعم أنا كنت مخطئًا في هذه النقطة.. أنا لا أطالبك أن تهدم هذا كله، أطالبك أن تعترف بهذا الخطأ فقط.

وللحديث بقية إن قدّر الله لنا البقاء واللقاء...

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وجزاكم الله خيرًا.